# رسم المصحف وتدبر القرآن الكريم

## ورقة عمل في مؤتمر التدبر


إعداد

نبيل بن محمد الجوهري

الأستاذ بكلية القرآن الكريم

الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، وبقوته وإرادته توجد المخلوقات ، وبعلمه وقدرته يمسك الله الأرض والسموات ، أحمده سبحانه على ما أسبغ وأسبل ، وأنعم به علينا وتفضل ، فإذا بنا في شتى نعمه نرفل ، وبستره عيوبنا نجمل .

واشهد ألا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، ذلت له الأنوف ، وعنت له الوجوه ، وخضعت له الرقاب ، فعزَّت بذلِّ العبودية له ، واستغنت عن الخلق حين أيقنت بفقرها له .

وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله ﷺ ، أكرم عباد الله على الله وأحبهم لديه ، أرسله ربه على حين فترة من الرسل ، ليفتح به أعيناً عمياً وآذاناً صماً وقلوباً غلفاً ، لينير به الظلمات ، ويكمل به مكارم الأخلاق ، ويقيم به الملة العوجاء ، فهدى به الضلالة وبصَّر به من العمى ، صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم .

**ثم أما بعد :**

فإن الله جل وعلا أنزل كتابه الكريم وقرآنه المجيد ليكون هدى للناس أجمعين ، وجعل نبيه محمدا ﷺ مبينا له بأقواله وأفعاله بيانا شافيا لتحصيل تلك الهداية ، وكافيا لمن أراد السعادة في الدارين ، لكنه مع ذلك لم يمنع الناس من تدبره والتفكر فيه ، بل جعل ذلك قسيما لبيان النبي ﷺ حين قال سبحانه : **﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾** ( سورة النحل : ٤٤ ) وندب الناس إلى تدبر القرآن ، بل جعل تدبر القرآن هدفا من أهداف إنزال القرآن وغاية من غاياته ، فقال تعالى**﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾**( سورة ص : ٢٩ ) .

وإن أولى الناس بتدبر القرآن الكريم هم أولوا الأمر من العلماء الذين يستنبطون منه الكثير ، لاسيما المشتغلين بتفسيره والمختصين ببيانه .

ورسم المصحف باب واسع يدلف منه الكثيرون إن أرادوا ، إذ هو رسم أجمع عليه الصحابة الكرام رضي الله عنهم وخط لا يقاس عليه ، ونظام كتابة يجب اتباعه وتحرم مخالفته أو الخروج عن طريقته عند سلف هذه الأمة ولو في حرف واحد .

لكنه مع ذلك مزلق خطير ومنعطف وعر ، ولذلك فإن كثيرا ممن ولجوا دربه زلت فيه أقدامهم بذكر تعليلات وحكمٍ وأسرار متكلفة سَمِجَة ممجوجة أو موغلة في الغموض.

وسأذكر . بإذن الله تعالى . نماذج من الكلمات التي تنوَّع رسمها واختلفت كتابتها بين آية وآية ، أو بين جملة من الآيات بعضها البعض ،أو نماذج من المواضع التي اختلف فيها الرسم عن المعتاد من قواعد الكتابة ، أو آثار تدبر السابقين من المفسرين وغيرهم . إن وجدت لهم قولا في ذلك . ذاكرا عجيبة من عجائب القرآن ، ما اهتديت إلى ذلك سبيلا ، وسأبتعد ما استطعت عن التكلف الذي لا ينبغي ، وإذا لم أهتد إلى وجه الدلالة في ذلك بلا تكلف توقفت ، لعل الله يفتح للبعض فتحا مبينا ، أو يعطيه فهما في قرآنه ، والله المستعان ، وكفى بربك هاديا ونصيرا .

نبيل بن محمد الجوهري

المدينة النبوية المنورة

**الموطن الأول :**

قول الله تعالى في مطلع سورة الفاتحة : ﴿ **بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ** ﴾ ، وقوله سبحانه : ﴿ **بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِيهَا وَمُرْسَاهَا** ﴾ ( هود : ٤١ ) ، فقد حذفت الألف من كلمة ﴿ **بِسْمِ** ﴾حين أضافها المولى سبحانه إلى لفظ الجلالة ﴿ **اللَّهِ** ﴾ في الآيتين ، بينما لم تحذف هذه الألف من نفس كلمة ﴿ **بِسْمِ** ﴾ في قوله جل وعلا : ﴿ **فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ** ﴾ ( سورة الواقعة : ٧٤ ، ٩٦ ، وسورة الحاقة : ٥٢ ) ، وقوله تعالى :﴿ **اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ** ﴾ ( سورة العلق : ١ ) ، حين أضافها الله جل وعلا إلى لفظ : ( الرب ) سبحانه في هذه الآيات الأربع .

يقول الألوسي : "وعندي أن هذا رسم عثماني وهو مما لا يكاد يعرف السر فيه أرباب الرسوم والكثير من عللهم غير مطردة وبذلك اعتذر البعض عن عدم حذف ألف الله مع كثرة استعماله واستغنى به عن الجواب بشدة الامتزاج وبأنها عوض وبأنه يلزم الاجحاف لو حذفت أو الالتباس بقولنا لله مجروراً ، فالرأي إبداء سر ذوقي لذلك " [١] ، لكنه عقب ذلك بذكر كلامٍ [٢] خلط فيه بين التذوق البلاغي الرفيع والتعبير الصوفي الملغز من وجهة نظري ، أو أني لم أفهم كلامه .

والذي يظهر لي أن الله تعالى يشير بحذف الألف من كلمة ﴿ **بِسْمِ** ﴾ حين أضافها الله تعالى إلى لفظ الجلالة ﴿ **اللَّهِ** ﴾ في الآيتين الأوليين إلى وجوب قطع العلائق بين العباد وربهم ، والبعد في كل الأمور عن الوسائط في مقام الألوهية خاصة ، لأن غالب الخلل الذي يكون عند العباد إنما يكون في توحيد الألوهية دون توحيد الربوبية ، وفي حذف هذه الألف أيضا والتصاق الباء بالسين دعوة إلى قوة الاعتصام بالله تعالى وشدة الالتصاق به سبحانه والقرب منه في كل حال من الأحوال ، ويشير إلى هذا ويؤكده حذف متعلق الجار والمجرور ﴿ **بِسْمِ** ﴾ من البسملة خاصة ، في أول الفاتحة وفي أول كل سورة، ومن أهم فوائد وأغراض حذف المتعلق قصد إفادة العموم .

---

[١] **روح المعاني ١ / ١ /٥٦ ، ٥٧ .**

[٢] **روح المعاني ١ / ٥٧ .**

ولم تحذف هذه الألف من نفس كلمة ﴿ **بِسْمِ** ﴾ حين أضافها الله عز وجل إلى لفظ ( الرب ) سبحانه في الآيات الأربع الأخرى لأن الخلل والشطط في توحيد الربوبية أقل وجودا في دنيا الناس من توحيد الألوهية ، إذ غالب الكفار مقرون بتوحيد الربوبية .

**الموطن الثاني :**

قول الله جل وعلا ﴿ **وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ** ﴾ ( سورة البقرة : ٦١ ) فقد جاءت كلمة ﴿ **مِصْرًا** ﴾ في الآية الكريمة مصروفة مكتوبة بالألف .

بينما جاءت كلمة ﴿ **مِصْرَ** ﴾ في بقية آيات القرآن الكريم ممنوعة من الصرف محذوفة الألف ، وهي قوله جل وعلا : ﴿ **وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ ( سورة يونس : ٨٧ ) وقوله سبحانه : ﴿ **وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾ ( سورة يوسف : ٢١ ) ، وقوله جل وعلا : ﴿ **فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ** ﴾ ( سورة يوسف : ٩٩ ) ، وقوله سبحانه : ﴿ **وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ** ﴾ ( سورة الزخرف : ٥١ ) .

وفي هذا دلالة بينة وآية واضحة على أن كلمة ( مصر ) نكرة في الآية الأولى ومعرفة في الآيات الأربع الأخرى ، وعليه فالمراد بكلمة ( مصر ) في آية البقرة مطلق المصر ، والمعنى : اهبطوا أيَّ مصر من الأمصار[٣] ، وأنَّ المراد بكلمة ( مصر ) في الآيات الأربع الباقية هي مصر المعروفة .

---

**[٣] وهذا هو الرأي الراجح عند كثير من المفسرين كالبغوي في معالم التنزيل ١/ ١٠١ ، وابن كثير في تفسير القرآن العظيم ٩ / ٢٨١ ، والطاهر ابن عاشور في التحرير والتنوير ١ / ٢١٦ وغيرهم .**

الموطن الثالث :

قول الله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ ( سورة البقرة : ٢٣٤ ) ، وقوله سبحانه : ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْن فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ ( سورة البقرة : ٢٤٠ ) .

وصلت الكلمتان ( في ) و ( ما ) في الآية الأولى هكذا : ﴿ فيما ﴾ ، بينما جاءتا مفصولتين أو منفصلتين في الآية الثانية هكذا : ﴿ فِي مَا ﴾.

والذي يثير الانتباه في هذين الموضعين أكثر أنهما متماثلتان من حيث عدد الحروف وترتيبها وحركاتها ، وأنهما جاءتا في آيتين متجاورتين . أو كالمتجاورتين . في سورة واحدة ، وكلاهما في حكم واحد ، وهو حكم المرأة المتوفى عنها زوجها .

يرى بعض الباحثين أنَّ " هذا يلفت الانتباه إلى الفروق المعنوية الكامنة وراء هذا التنويع في الرسم ، ولولاه ما استوقفتنا معاني الاتصال في الآية الأولى ومعاني الانفصال في الثانية . لا شك أنَّ وصل اللفظة في الآية مناسب للمعاني التي تكتنفها من بين يديها ومن خلفها ، كما أنَّ فصلها مناسب أيضا لمعاني الآية الثانية فمن ذلك أنَّ :

١ـ إذا الشرطية في الآية الأولى تفيد تحقق وقوع الشرط وتلك صلة ثابتة بين الشرط وجوابه بخلاف إنْ الشرطية في الآية الثانية فليست بواجبه الوقوع فقد لا يثبت وقوع جوابها لارتباطه بالشرط المعلق .

٢ . الباء الجارة في : ( بالْمَعْرُوفِ ) في الآية الأولى مناسبة جدا لمعاني الاتصال والمصاحبة والملاصقة كما أنَّ الباء نفسها تتصل بالكلمة خطًّا ، فضلا عن اتصالها بمعرَّفٍ بـ ( أل ) ، وهو معنى يقوِّى الاتصال والتقارب بخلاف : ( مِنْ مَعْرُوفٍ ) في الآية الثانية حيث التجزئة والتبعيض والتنكير وهي معاني تدعم الانفصال والتباعد.

٣ . الآية الأولى محكمة متمكنة راسخة حتى قال كثير من العلماء إنها ناسخة للآية الثانية ، ولا يخفى ما في النسخ من معاني الفصل والوصل .

٤ . رفع الجناح المتعلق بـ : ﴿ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ ﴾ في الآية الأولى مرتبط بتمام العدة بأيامها وبلوغ الكتاب أجله ؛ بينما في الثانية متعلق بالخروج والانفصال"[٤].

أقول وبالله التوفيق : قول هذا الباحث : " الآية الأولى محكمة متمكنة راسخة حتى قال كثير من العلماء إنها ناسخة للآية الثانية " ، فيه نظر ، فإني أرى أنَّ الآيتين محكمتان ، وأنهما وإنْ كانتا في حكم المرأة المتوفَّى عنها زوجها ، كما أسلفتُ فكل آية منهما تتناول جانبا من هذا الحكم ، وعليه فالجهة منفكَّة ، إذ الآية الأولى تتحدث عن عدة المرأة المتوفى عنها زوجها ، أما الآية الثانية فإنها تتحدث عن الوصية للمرأة المتوفَّى عنها زوجها ، أو إن شئت فقلت إنها تتحدث عن الوصية بها ، تتمتع حولا كاملا بسبب حسن تبعُّلها ، ورعايةِ صحبتَها زوجَها المتوفَّ قبل موته ، حتى لا تجمع بين فجيعتها في زوجها وشريك حياتها وتركها البيت الذي أَلِفَتْه ، وكلُّ ما في ذلك البيت من أفراد وأركان وأثاث يحمل ذكرياتها الطيبة وماضيها الحسن ، فيُهَوِّن عليها كل ذلك ما لحق بها من الفجيعة بفقد زوجها ومفارقة إِلْفِها .

[٤] من بلاغة الرسم القرآني ١٩٨ .

الموطن الرابع :

ومن ذلك لفظ ( امرأة ) ، فقد ورد في القرآن إحدى عشرة مرة ، جاءت التاء فيها مربوطة ( مقبوضة ) في أربع آيات ، بينما جاءت مفتوحة ( مبسوطة مفتوحة ) في سبع آيات .

أما الآيات الأربع التي جاءت التاء فيها مربوطة مقبوضة فهي قول الله تعالى: ﴿ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ ﴾ ( سورة النساء : ١٢ ) ، وقوله عز وجل : ﴿ وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ﴾ ( سورة النساء : ١٢٨ ) ، وقوله سبحانه : ﴿ إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾ ( سورة النمل : ٢٣ ) ، وقوله جل وعلا : ﴿ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ( سورة الأحزاب : ٥٠ ) .

وأما الآيات السبع التي جاءت التاء فيها مفتوحة ممدودة مبسوطة فهي قوله جل وعلا : ﴿ إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ ( سورة آل عمران : ٣٥ ) ، وقوله تعالى : ﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ ( سورة يوسف : ٣٠ ) ، وقوله جل وعلا : ﴿ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ ( سورة يوسف : ٥١ ) ، وقوله تعالى : ﴿ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ ( سورة القصص : ٩ ) ، وقوله سبحانه : ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي

أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ ﴾ ( سورة التحريم : ١٠ ـ ١٢ ) .

والذي يبدو للقارئ منذ الوهلة الأولى والنظرة العجلى أنَّ التاء قد جاءت مربوطة مقبوضة حين لم تضف المرأة إلى شيء قط أو لم توصف بأي وصف خاص أو عام ، بينما جاءت مفتوحة ممدودة مبسوطة حين أضيفت إلى زوجها فقط ، وفي هذا تنبيه على وجود أثر التبعل والمصاحبة والمخالطة ، ففي ذلك دلالة على قوة نفوذ المرأة وامتداد سلطانها في بيت زوجها بسبب وجودها معه متصرفة في بيته هو ، أو في بيتها وهي عنده ، فلذلك مدت تاؤها وبسطت ، وفي بيت زوجها لها قائد واحد تطيعه فتستريح ، وتسترضيه فيرضى ، وتعتذر له حين تخطئ فيقبل .

بينما تجد المرأة مرتبطة مقيدة في أي مكان آخر ، حتى ولو كانت مدللة مرفَّهَّة في بيت أبيها ، فإنه يتحكم فيها ويأمرها وينهاها الأب والأم والأخوة ، فليس لها قائد واحد ، بل كثيرون ، ولربما كانوا في شأنها شركاء متشاكسين ،فإن أطاعت واحدا منهم لا تستريح حتى تطيع الجميع ، وذلك عليها عسير ، وإن استرضت واحدا منهم فرضي لا تهنأ حتى يرضى عنها الجميع ، وإن أخطأت فاعتذرت لهم لا يستقر لها قرار ولا يهدأ لها بال حتى يقبل عذرها الجميع .

الموطن الخامس :

قول الله عز وجل : ﴿ وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ ( سورة إبراهيم : ٣٤ ) ، وقوله جل في علاه : ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ ( سورة النحل : ١٨) .

كتبت كلمة ( نعمة ) في الآية الأولى بالتاء المفتوحة الممدودة المبسوطة هكذا ﴿ نِعْمَتَ ﴾ بينما كتبت نفس الكلمة في الآية الثانية بالتاء المربوطة المقبوضة هكذا ﴿ نِعْمَةَ ﴾ مع التطابق التام بين الجملتين.

وأرى أنَّ بسط التاء في الآية الأولى يتناسب مع المعنى تماما لأن الكلام في سورة إبراهيم جاء في بيان الكفار الذين رضوا بالظلمات ورفضوا أن يخرجوا منها إلى النور، فأعرضوا عن نعمة الهداية على أيدي الرسل الدعاة إلى الله تعالى ، وهو وحده الذي له جميع النعم في الدارين ، فناسب مد التاء وبسطها الحديث عن هذه النعم التي قابلها الكفار بالجحود والنكران وبدلوها كفرا ، مع كثرتها ومجدها وبسطها ، ويؤيد ذلك ختم آية سورة إبراهيم بقوله سبحانه ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ .

بينما جاء الكلام في سورة النحل التي هي سورة النعم على تعداد تلك النعم ، ومن أجلِّ نعم الله تعالى على الناس مغفرته ورحمته وتجاوزه عنهم ، ويؤيد ذلك ختم آية سورة النحل بقوله جل وعلا : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾

يقول أبو حيان رحمه الله : " النعمة هو المنعم به ، وأنه هو اسم جنس لا يراد به الواحد بل يراد به الجمع ، كأنه قيل : وإن تعدوا نعمة الله ومعنى لا تحصوها ، لا تحصروها ولا تطيقوا عدها ، هذا إذا أرادوا أن يعدوها على الإجمال. وأما التفصيل فلا يقدر عليه ، ولا يعلمه إلا الله. وقال أبو الدرداء : من لم ير نعمة الله عليه إلا في مطعمه ومشربه فقد قل علمه ، وحضر عذابه. والمراد بالإنسان هنا الجنس أي : توجد فيه هذه الخلال وهي : الظلم ، والكفر ، يظلم النعمة بإغفال شكرها ، ويكفرها بجحدها. وقيل : ظلوم في الشدة فيشكو ويجزع ، كفار في النعمة يجمع ويمنع. وفي النحل :

{وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَآا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ} والفرق بين الختمين: أنه هنا تقدم قوله : ألم تر إلى الذين بدلوا نعمت الله كفراً وبعده ، وجعلوا لله أنداداً ، فكان ذلك نصاً على ما فعلوا من القبائح من كفران النعمة والظلم الذي هو الشرك ، بجعل الأنداد ناسب أن يحتم بذم من وقع ذلك منه ، فجاء أن الإنسان لظلوم كفار. وأما في النحل فلما ذكر عدة تفضلات ، وأطنب فيها ، وقال : {أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لا يَخْلُقُ} أي : من أوجد هذه النعم السابق ذكرها ليس كمن لا يقدر على الخلق ولا على شيء منه ، ذكر من تفضلاته اتصافه بالعذاب والرحمة تحريضاً على الرجوع إليه ، وأن هاتين الصفتين هو متصف بهما ، كما هو متصف بالخلق ، ففي ذلك إطماع لمن آمن به. وانتقل من عبادة المخلوق إلى عبادة الخالق أنه يغفر زلله السابق ويرحمه ، وأيضاً فإنه لما ذكر أنه تعالى هو المتفضل بالنعم على الإنسان ، ذكر ما حصل من المنعم ، ومن جنس المنعم عل ، فحصل من المنعم ما يناسبه حالة عطائه وهو الغفران والرحمة ، إذ لولاهما لما أنعم عليه. وحصل من جنس المنعم عليه ما يناسبه حالة الإنعام عليه ، وهو الظلم والكفران ، فكأنه قيل : إن صدر من الإنسان ظلم فالله غفور ، أو كفران نعمة فالله رحيم ، لعلمه يعجز الإنسان وقصوره" ٥.

ويقول البقاعي رحمه الله : " ولما كان أكثر هذه السورة في بيان الكفرة وما لهم ، وبيان أن أكثر الخلق هالك معرض عما يأتيه من نعمة الهداية على أيدي الرسل الدعاة إلى من له جميع النعم للحياة الطيبة بسعادة الدارين ، ختم الآية ببيان ما اقتضى ذلك من صفات الإنسان فقال : ( إن الإنسان ) أي هذا النوع لما له من الأنس بنفسه ، والنسيان لما ينفعه ويضره ، والاضطراب بسبب ما يغمه ويسره ) لظلوم كفار ) أي بليغ الظلم والكفر حيث يهمل الشكر ، ويتعداه إلى الكفر ، وختم مثل ذلك في سورة النحل ب ) غفور رحيم ( لأن تلك سورة النعم ، بدئت بالنهي عن استعجال العذاب ، لأن الرحمة أسبق ، ومن الرحمة إمهال الناس وإمتاعهم بالمنافع ، فالتقدير إذن هناك : ( وإن تعدوا نعمت الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار ( ولكن ربه لا يعاجله بالعقوبة لأنه غفور رحيم ، وأما هذه السورة فبدئت بأن الناس في الظلمات ."٦ .

---

٥ **البحر المحيط ٦ / ٤٤١ ، ٤٤٢ .**

٦ **نظم الدرر ٤ /١٨٩ .**

الموطن السادس :

قول الله تعالى ﴿ وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا ﴾ ( سورة الإسراء : ١١ ) ، وقوله عز وجل ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشَإِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾( سورة الشورى : ٢٤) ، وقوله جل وعلا ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ﴾( سورة القمر : ٦ ) ، وقوله عز اسمه﴿سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾( سورة العلق : ١٨ )

فقد جاءت هذه الكلمات الأربع محذوفة الواو ، ولا موجب لحذفها ، لأنها أفعال مضارعة مرفوعة ، ولكلٍّ دلالةٌ خفيةٌ دلَّ عليها رسم المصحف .

فحذف الواو في الآية الأولى يدل على سرعة الإنسان وعجلته في دعائه بالخير دعاءه بالشر ، قاصدا أو غير قاصد ، مغضبا أو غير مغضب ، يقول البقاعي رحمه الله : " ﴿ويدع] حذف واوه – الذي هو لام الفعل – خطأً في جميع المصاحف ولا موجب لحذفه لفظاً في العربية – مشير إلى أنه يدعو بالشر لسفهه وقلة عقله ، وهو لا يريد علو الشر عليه – بما أشير إليه بحذف ما معناه عند أهل الله الرفعة والعلو ، وإلى أن غاية فعله الهلاك إلى أن يتداركه الله " [٧].

وحذف الواو في الآية الثانية يدل على سرحة محو الله تعالى الباطل وقوة ذلك المحو في مواجهته الحق ، إلى غير ذلك من المعاني المستفادة من حذف هذه الواو ، يقول البقاعي رحمه الله : " قوله : ﴿وَيَمْحُ اللَّهُ﴾..... وحذفت واوه في الخط في جميع المصاحف مع أنه استئناف غير داخل في الجواب لأنه تعالى يمحو الباطل مطلقاً إيماء إلى أنه سبحانه يمحق رفعه وعلوه وغلبته التي دلت عليها الواو مطابقة بين خطه ولفظه ، ومعناه تأكيداً للبشارة يمحوه محواً لا يدع له عيناً ولا أثراً لمن ثبت لصولته : وصبر كما أمر لحولته ، اعتماداً على صادق وعد الله إيماناً بالغيب وثقة بالرسل عليهم الصلاة والسلام ، وفي الحذف أيضاً تشبيه

[٧] **نظم الدرر ٤ / ٣٥٦ .**

له بفعل الأمر إيماء إلى أن إيقاع هذا المحو أمر لا بد من كونه على أتم الوجوه وأحكمها وأعلاها وأتقنها كما يكون المأمور به من الملك المطاع "٨ .

وحذف الواو في الآية الثالثة يدل على سرعة مجيء الشداد والأهوال في ذلك اليوم بالنسبة لجميع الناس ، بله أهل الكفر والعناد ، والمعنى : فتولعنهم ،فإنلهم في ذلك اليومعذاب شديد ، أو : فتول عنهم حتى يأتي ذلك اليوم فيلقون في العذاب الأليم.

وحذف الواو في الآية الرابعة يدل على سرعة دعاء الزبانية ، وهم الذين يدفعونهم في النار دفعا ويسوقونهم إلى النار سوقا ، وهو عذاب في نار لا قبل للكفار والمشركين به ولا بها ، بقول البقاعي رحمه الله : " ﴿سَنَدْعُ] أي بوعد لا خلف فيه ) الزبانية ) أي الأعوان الموكلين بالنار ليجروه إليها ، وهم في الأصل الشرط ، الواحد زبنية كهبرية ، من الزبن وهو الدفع أو زبني على النسبة ، أصلها زباني والتاء عوض عن الياء ، وهم كل من عظم خلقه ، واشتد بطشه ، وقد اجتمعت المصاحف العثمانية على حذف الواو من هذا الفعل خطأ ، ولا موجب لحذفه من العربية لفظاً ، وكأن المعنى في ذلك - والله أعلم -.

أن لا يظن أنهم دعوا لرفعة لهم في ذواتهم يستعان بهم بسببها لأن معنى الواو عند الربانيين العلو والرفعة ، إشارة إلى أنهم لا قوة لهم إلا بالقوي العزيز ، أو يقال : إن الحذف دال على تشبيه الفعل بالأمر ليدل على أن هذا الدعاء أمر لا بد من إيقاع مضمونه ، ومن إجابة المدعوين إلى ما دعوا إليه ، وأن ذلك كله يكون على غاية الإحكام ، والاتساق بين خطه ومعناه والانتظام ، لا سيما مع التأكيد بالسين ، الدال على تحتم الاتحاد والتمكين ، أو يكون المعنى : إنا ندعوهم بأيسر دعاء وأسهل أمر ، فيكون منهم ما لا يطاق ولا يستطاع دفاعه بوجه ، فكيف لو أكدنا دعوتهم وقوينا عزمتهم "٩.

---

[٨] نظم الدرر ٦ / ٦٢٦ ، ٦٢٧ .

[٩] نظم الدرر ٨ / ٤٨٨ .

الموطن السابع :

قول الله تعالى ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ ﴾ ( سورة الأحزاب : ٣٧ ) ، وقوله عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِى هَاجَرْنَ مَعَكَ وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِىِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِىُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۗ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِىٓ أَزْوَٰجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٠﴾ ﴾ ( سورة الأحزاب : ٥٠ )

فقد جاءت كلمة﴿ لكيلا ﴾ في الآية الأولى مفصولة في خط المصحف ، بينما جاءت نفس الكلمة موصولة في الآية الثانية ﴿لكيلا﴾ وهما في سورة واحدة ، يرى بعض الباحثين أن السر في ذلك أمر اقتضاه المقام والمعنى ، حيث يشعرك هذا التغاير بتباين المقامين ، مقام المؤمنين هنا ، ومقام النبوة هناك ، فنبذ الزواج بحليلة الدعي إذا طلقت أمر ثابت في النفوس راسخ في العقول ، لأن الدعي في زعمهم تبوأ منزلة الابن في كل شيء حتى الميراث وحرمة النسب ، وتلك العملية صورة من صور الانفصال والاقتلاع ، فما أنسب أن يكون رسم اللفظة يحمل هذا الانفصال !

بينما في الآية الثانية يتمثل دفع الحرج في المنحة الخاصة بالنبي ﷺ من دون سائر المؤمنين ، والتي حباه الله بها،وهي إباحة زواج النبيﷺبمن وهبت نفسها له بدون مهر ، وهذه

الإباحة خاصة له من دون المؤمنين ، والتي يناسبها الاتصال من حيث هي صلة إلهية وعطية ربانية[١٠] .

[١٠] **من بلاغة الرسم القرآني ١٩٩** .

المَوطن الثامن :

قول الله تعالى: ﴿ ۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ۚ
ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٩) وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ
سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ (١٠) ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا
أَتَيْنَا طَائِعِينَ (١١) فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ
الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (١٢) ﴾ ( سورة فصلت : ٩ ـ ١٢ ) .

جاءت كلمة ( السماوات ) في مائة وتسعين آية من القرآن الكريم كتبت فيها كلها بحذف الألف التي بعد الميم والألف التي بعد الواو هكذا﴿السَّمَوَٰتِ﴾ إلا آية سورة فصلت هذه ، فقد كتبت فيها هذه الكلمة بحذف الألف التي بعد الميم فقط وإثبات الألف التي بعد الواو هكذا﴿السَّمَٰوَاتِ﴾ .

ولعل السبب في ذلك هو أن الله تعالى تحدث عن خلق السماوات والأرض في كل آيات القرآن تحدث عن ذلك بنوع إجمال واختصار ، إلا في هذه الآيات من سورة فصلت ، فإن فيها زيادة عن بقية الآيات القرآنية ، وهو تفصيل ذلك الخلق ، فتناسب الرسم مع المعنى زيادة ونقصا ، فزادت الألف مع الزيادة بالتفصيل والبيان ، ونقصت الألف مع النقص بالإجمال والاختصار .

الموطن التاسع :

قول الله تعالى : ﴿ وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ (١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ (٢) وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ (٣) إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ (٤) عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ (٥) ذُو مِرَّةٖ فَٱسۡتَوَىٰ (٦) وَهُوَ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡأَعۡلَىٰ (٧) ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ (٨) فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ (٩) فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ (١٠) مَا كَذَبَ ٱلۡفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ (١١) أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ (١٢) وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ (١٣) عِندَ سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ (١٤) عِندَهَا جَنَّةُ ٱلۡمَأۡوَىٰٓ (١٥) إِذۡ يَغۡشَى ٱلسِّدۡرَةَ مَا يَغۡشَىٰ (١٦) مَا زَاغَ ٱلۡبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ (١٧) لَقَدۡ رَأَىٰ مِنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ (١٨) ﴾ ( سورة النجم : ١ ـ١٨ ).

جاءت كلمة ﴿رَأَى﴾في القرآن الكريم في ثلاث عشرة آية ، في سورة الأنعام : ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٨ ، وفي سورة هود : ٧٠ ، وفي سورة يوسف : ٢٤ ، ٢٨ ، وفي سورة النحل ٨٥ ، ٨٦ ، وفي سورة الكهف : ٥٣ ، وفي سورة طه : ١٠ ، وفي سورة الأحزاب : ٢٢ ، وفي سورة النجم : ١١ ، ١٨ ، وقد كتبت كلمة ﴿رَأَى﴾ في الآيتين ١١ ، ١٨ من سورة النجم بدون حذف ، بينما جاءت هذه الكلمة في الآيات الإحدى إحدى الباقية محذوفة الآخر .

والنظر في هاتين الآيتين يبدو له كمال الرؤية وتمامها ، وهي رؤية النبي ﷺ كل ما رآه في رحلة الإسراء والمعراج﴿ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ وفق التعبير القرآني ، وهذه الرؤية بهذا التعبير لم تكن لأحد أبدا ـ على الأقل في الدنيا ـ حتى الأنبياء عليهم صلوات الله وسلامه ، فهي منحة إلهية وعطية ربانية يتناسب معها التمام والكمال لفظا ومعنى ، وهو مما يتناسب أيضا مع ذكر الفعل في الكتابة تاما دون نقص .

المراجع

= البحر المحيط لأبي حيان ، تحقيق : صدقي محمد جميل ، ط دار الفكر ، بيروت ، ١٤٢٠ هـ. ٢٠٠ م .

= تفسير القرآن العظيم لابن كثير ، تحقيق : سامي سلامة ، دار طيبة ، ط ٢ ، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م

= روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسي ، تحقيق : على عبد الباري عطية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٥ هـ. ١٩٩٥ م .

= معالم التنزيل للبغوي ،تحقيق محمد عبد الله النمر وعثمان جمعة ضميريةوسليمان مسلم الحرش ، دار طيبة ، ط ٤ ، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م .

= المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم لمحمد فؤاد عبد الباقي ، ط دار الحديث ، القاهرة ، ط ٢ ، ١٤٠٨ هـ. ١٩٨٨ م .

= من بلاغة الرسم القرآني لمصطفى شريقين ، بحث منشور على الشبكة العنكبوتية في ٤٢ صفحة .

= نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي ، تحقيق عبد الرزاق غالب المهدي ، بيرت ، ظ ٣ ، ١٤٢٧ هـ. ٢٠٠٦ م .